المعالم الأثرية بمدينة المدية العثمانية

أ. نصيرة تتبيرت
جامعة معسكر

تعتبر مدينة المدية من المدن التاريخية والأثرية العريقة التي رسمت معالمها منذ أقدم العصور، حيث مرت بها حضارات عدة خلفت آثارا مهمة، مما جعلها تلعب دورا سياسيا وتجاريا وحضاريا رغب الكثير من الملوك في امتلاكها، ولهذه الأسباب جميعها استهلينا الدراسة بموقع المدينة وأهميتها وتاريخها .

أولا: الإطار الجغرافي والتاريخي

1- الإطار الجغرافي:

تقع مدينة المدية فلكيا بين خطي طول0°5' غربا، وخطي عرض 36°16'شمالا على ربوة مستندة إلى جبل الناظور[1] في قلب سلسلة الأطلس التلي، ترتفع على مستوى سطح البحر بحوالي 920 متر، وتبعد عن الجزائر العاصمة بـ90 كلم في الناحية الجنوبية، وهي عاصمة إقليم التيطري الذي كان يكون مع بايلك الشرق وبايلك الغرب وإقليم دار السلطان ايالة الجزائر العثمانية.

ن خلدون في كتابه العبر أخبار المدية فيقول أن " .. عثمان بن يغمراسن نهض في
قام بدعوته فيها قبائل تعرف بلامبديا واليهم تنسب.."[5]

اك من يرجع أصل التسمية إلى لمدونة، وهي بطن من بطون صنهاجة، ويلقب
سب إليها بالمدي أو اللمداني نسبة إلى الصنعة أو الحرفة التي كان يمتهنها
قديما والمتمثلة في صناعة المدي التي تعني السكاكين[6].

ها يكن الأمر مع ذلك فالمدينة موغلة في القدم ويبدو أن أنها ظهرت في القرن
يلادي أو في القرن الثاني الميلادي على أكبر تقدير، ويرجح أنها كانت مدينة
ة تقيم فيها جالية رومانية مع خليط من الأهالي، من ذلك الأمازيغ أو البربر،
ن أسماء الجبال والسهول هي أسماء بربرية، فتلاعيش اسم بربري، وكذلك
ة وتبحرين وحربيل[7]

د الفتح العربي الإسلامي للمغرب الأوسط انتشر العرب والمسلمون في كافة
بلاد واندمجوا مع السكان المحليين، والجدير بالذكر أن التاريخ لم يذكر المدية في
لاة والإمارات، وبعد أن ظهرت الدولة الفاطمية أواخر القرن الثالث عشر
شرعت في تأسيس المدن وتجديدها، ومن ضمن ذلك قام زيري بن مناد
ي بتأسيس مدينة أشير جنوب المدية في سنة 324هـ أيام القائم بأمر الله
وفي سنة إحدى وستين وثلاث مائة سار المعز لدين الله من افريقية يريد
صرية وذلك في آخر شوال من نفس السنة[8]، بعد أن تم الاستيلاء عليها من
لجيش الفاطمي الذي يتكون من رجال كتامة بقيادة جوهر الصقيلي، ونظر
ليه أمر افريقية والمغرب ممن له الاطلاع وبه الوثوق من صدق التشييع
القدم في دراية الدولة، فوقع اختياره على بلكين بن زيري بن مناد فبعث
وأمر الكتاب أن يكتبوا إلى العمال وولاة الأشغال بالسمع والطاعة له [10]،
سف بدلا من بلكين، فقام هذا الأخير بتأسيس مجموعة من المدن منها مدينة

المدية، وبعد مدة من الزمن انقسمت الدولة الصنهاجية إلى دولتين، دولة الزيريين بالقيروان، ودولة الحماديين بالقلعة، وكانت المدية في هذه الفترة خاضعة لدولة بني حماد مثلها مثل مليانة والجزائر وأشير والمسيلة وغيرها من المدن.

هذا وقد خضعت بلاد المغرب الأوسط في ناحيتها الغربية فيما بعد للمرابطين إلا أن المصادر التاريخية تبقى صامتة عما جرى من أحداث بالمدية في هذه الفترة، لتخضع المدية لنفوذ الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي فكان تملكه الجزائر والمدية في سنة546هـ/ 1152[11]. وبضعف الدولة الموحدية أصبحت المنطقة محل صراع بين الحفصيين وبني مرين والزيانيين، لكن سرعان ما بادر ملوك تلمسان بالاستيلاء على المدية بما لها من أهمية إستراتيجية، إذ هي في طريق الجنوب وفي طريق الشرق الجزائري[12]، وبضعف الزيانيين في القرن الخامس عشر ميلادي انفصلت المنطقة عنهم، وانضمت إلى سلطة أمير تنس، الذي تتكون إمارته من مدن مليانة والمدية وتنس وأصبحت مستقلة عن تلمسان، بذلك يظهر جليا أن المدية كانت مسرحا للأحداث والصراعات التي كانت بين الزيانيين والمرينيين إلى أن جاء الإخوة باربروس إلى الجزائر وشرعوا في التوسع باسم الدولة العثمانية.

ب- مدينة المدية خلال العهد العثماني:

اكتست مدينة المدية أهمية بالغة في العهد العثماني حيث تمكن العثمانيون في فترة وجيزة من توطيد حكمهم بها، ففي عهد الباي لارباي حسن بن خير الدين (1544-1567م) جرى تقسيم الجزائر إداريا إلى أربع مقاطعات أو ولايات، الأولى هي ولاية الجزائر التي كانت تسمى دار السلطان، وعي قاعدة الملك ودار الإمارة، ولاية التيطري[13]، ولاية قسنطينة، وولاية معسكر، وعلى رأس كل ولاية وال يطلق عليه اسم الباي، إلا دار السلطان التي كان يتولى الداي الحكم بها على وجه الخصوص[14] فجعلت بذلك المدية عاصمة لبايلك التيطري الذي أطلق عليه اسم بايلك الجنوب.

حكم بايلك المدية ما بين سنتي1516م و1775م ثمانية عشر بايا منهم: الباي
154م، الباي شعبان 1633م، الباي فرحات 163م، الباي عصمان 1763م،
طة 1775م[15].

صطفى الوزناجي بن سليمان هو أول من استقر بصفة دائمة بالمدية[16]، وكان
رجلا عسكريا وإداريا في نفس الوقت، فكانت مدة توليته لإدارة البايلك
رة سنة (1775-1794م) قام خلالها بمضاعفة قواته وتنظيم المخزن في
وإيجاد قاعدة عسكرية جديدة في البرواقية التي كانت تتحكم في طريق
أما من تبعه من بايات فقد عانوا كثيرا من تمرد قبائل موزايا وأولاد نايل على
سوص، وأصبح الأمر أكثر تعقيدا مع بداية القرن التاسع عشر حيث ترك
طفى المليانى منصبه بعد ستة أشهر من الحكم، إلا انه مع 'قدوم مصطفى
1819-1830م) آخر بايات التيطري تغيرت الأمور، حيث كان حكيما في
ستطاع بمعية يحي أغا إخضاع وتهدئة عدد كبير من القبائل التي دانت له، قام
رات[17].

ر بالذكر أن باي المدية ورغم إقامته بالمدية إلا انه لم تكن له أي سلطة عليها
ت من صلاحياته في الفترة الأخيرة من الحكم التركي، حيث اقتصرت
بايلك التيطري دون مدينة المدية مركز البايلك التي أوكل أمرها لحاكم
ه السلطة المطلقة في المدينة بحيث استقل عن الباي.

ة حكم الأمير عبد القادر:

أكثر من ثلاثة قرون ظلت الجزائر قوة بحرية تسيطر على غربي البحر
لتوسط، وعلى أجزاء مختلفة من شواطئ المحيط الأطلسي، وفي
عثت فرنسا بحملة عسكرية ضدها نتج عنها استيلاء الجيش الفرنسي على
ر[19]، وبعد سقوط مدينة الجزائر حاول الفرنسيين إخضاع مدينة المدية إلا

أن ذلك كان عسيرا، فلم يتيسر لهم ولم تكف حملة واحدة لإخضاعها بل استغرق ذلك عقدا كاملا من الزمن، ففي 17 نوفمبر 1830 خرج الفرنسيين من الجزائر في10.000 جندي ودخلوا البليدة ونهبوها وكانت المقاومة شديدة ثم استولوا على ثنية مزايا ثم دخلوا إلى المدية في 22نوفمبر فعزلوا بومرزاق الذي كان في نظرهم رمز المقاومة، وعينوا بايا آخر هو مصطفى بن الحاج عمر ثم عادوا إلى الجزائر[20]. لكن هذا الأخير أصبح في وضعية صعبة وطلب النجدة، فعاد الجيش الفرنسي من جديد لتعزيز وجوده بعد ستة أشهر في الخامس والعشرين من جوان تحت قيادة برتزان، وفي 24 نوفمبر1832 بويع الأمير عبد القادر[21] كسلطان على الجزائر[22]، مما اجبر الجنرال دي ميشال على عقد صلح معه يوم 24 جانفي1834م سميت بمعاهدة دي ميشال[23] التي تمكن بموجبها الأمير من توسيع دائرة نفوذه بالاستيلاء على مليانة والمدية في شهر أفريل 1835م[24]، فدخل بذلك إلى المدية وجعلها ولاية رابعة وعين خليفة له أخاه السيد مصطفى بن محي الدين، ولكن هذا الأخير لم يشغل المنصب مدة طويلة، إذ سرعان ماتضح الأمير انه أميل للعبادة والاعتكاف منه إلى الشؤون الإدارية، فعزله وعين على رأس هذه المقاطعة السيد محمد البركاني[25]، وأعطى أهمية قصوى لتقوية دولته حيث تحولت قواعد دولة الأمير الواقعة بمنطقة التل، وهي تلمسان ومعسكر ومليانة والمدية وحمزة إلى خط دفاعي رئيسي يسد الطريق أمام أي تقدم محتمل للفرنسيين نحو الداخل في حالة تجدد الحرب وتحولت بذلك مدينة بوغار جنوب المدية إلى مركز حربي رئيس[26]. ولما رأت فرنسا أن المعاهدة ليست في صالحها، وان الأمير قد قوي نفوذه واتسعت دولته عمدت إلى نقض المعاهدة واستأنفت الحرب من جديد بعد أن عزل دي ميشال وعين الجنرال تريزيل في مكانه سنة1835م[27]. وأبرمت بعد فترة معاهدة أخري سميت معاهدة التافنة[28] التي نقضت هي الأخرى فبادر الأمير عبد القادر من مقر إقامته بالمدية بمراسلة الماريشال فالي في الثامن عشر نوفمبر

ة1839م محملا الفرنسيين مسؤولية خرق المعاهدة وتسببهم في إشعال [29]، وقامت مجموعة من القبائل الموالية للأمير بمهاجمة متيجة فمبر1839م تحت قيادة الخليفة بن علال[30] حتى وصلوا إلى أبواب الجزائر، الهجمات في مستغانم وارزيو[31].

ت العمليات العسكرية للجيش الفرنسي التي أدت إلى اجتياح مدينة المدية يوم شر من شهر ماي عام1840، انطلقت من متيجة، وخضر لها وشارك فيها كبار برتبة جنرال أمثال ديفيفي(Duvivier)، واودتو(Houdetot)، Schramm) وشونقارني(Changarnier) وكان ذلك تحت إشراف الدوق Orléans)، وكانت المعارك طاحنة، وقاوم جيش الأمير عبد القادر مقاومة وانتشر انتشارا ارهب به العدو حتى سقطت المدينة في يوم السابع عشر من شهر، وعندما دخلها الفرنسيون وجدوا سكانها قد خرجوا منها كليا[32].

المعالم الأثرية بالمدية العثمانية

رق في هذه النقطة لبعض العمائر التي شيدت بمدينة المدية خلال فترة الحكم ونخص بالذكر منها الدينية والمدنية، مبتدئين بلمحة عن تطور النسيج للمدينة خلال نفس الفترة، لنتناول العمائر الدينية المتمثلة في كل من ضريح صحراوي ومئذنة الجامع الأحمر، ثم ننتقل بعدها إلى العمارة المدنية التي الباي ودار السليماني.

ج العمراني لمدينة المدية خلال العهد العثماني:

تم المسلمون منذ عصر الفتوحات الإسلامية بإنشاء المدن والمراكز العمرانية وهو أمر طبيعي حيث اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوح في الشام وفارس ومصر والمغرب، حيث يعتبر العمران من مظاهر التحضر

والتأنق.على هذا الأساس قام العثمانيون بالاستقرار بمدينة المدية التي كان الغرض منها إنشاء قاعدة حربية ومعسكر للجند، وكان هذا منهج العرب منذ دخولهم الإسلام، وقد عمل بناة المدن الإسلامية على أن يتوسطها المسجد الجامع الذي أصبح مثابة المحرك الرئيسي، ويظهر ذلك في بناء المسجد المالكي الذي يتوسط المدينة، فالمسجد هو أول ما يختط ومن حوله تخطط خطط المدينة، وتنتهي إليه شوارعها وسككها وأزقتها[33]، وإضافة إلى هذا المسجد كان بالمدية حوالي احد عشر مسجدا[34] قام الجيش الفرنسي مباشرة بعد دخوله المدينة بتخريبها، حيث حولها إلى مصحات ومخازن للأسلحة والمئونة[35].

وكانت هذه المساجد تتوزع على أحياء المدينة وجرت العادة أن تكون دار الإمارة قريبة من المسجد أو ملاصقة له، وهذا ما قام به الباي مصطفى بومرزاق عند بناءه للمسجد والدار متجاورين، بحيث كان يربط بينها باب فقط. ومن حول هذين العنصرين تتوزع باقي المنشآت كمساكن العامة والتي سنتناول نماذج منها بالدراسة.

كما تتوفر المنطقة على كميات كبيرة منها خاصة الينابيع والآبار والمياه الجوفية، ومن القنوات الرئيسية للمياه قناة مرتفعة تقع في الجهة الغربية خارج أسوار المدينة على شكل خط مهشم يتركب من صفين من الأقواس، بنيت بالجير والرمل مع خليط من القرميد وأحجار كثيرة ضخمة ومنحوتة على شكل مستطيل ووضعت متوازية، ويبدو أنها من البناءات القديمة للرومان جددها العثمانيون، وأقاموا قربها قلعة حصينة لحمايتها من التدمير[36].

كما يعتبر السوق من الضروريات لقيام أي مدينة حيث كانت المحلات التجارية منتشرة في الشارع الرئيسي للمدينة الذي يمتد من الشمال إلى الوسط، وكانت للبيع بالتجزئة[37]، وأكثرها كان تابعا لليهود يبيعون فيها التبغ والتوابل[38]، وكانت تفرض على التجار القادمين من مختلف المناطق للمتاجرة في المدينة رسوم يتولى جمعها

لها أشخاص يعينون من قبل قايد الرحبة الذي يستأجر السوق، ويتحدد الرسم
سب حجم الحمولة ويكون جزء من السلع المعروضة، حيث بعد إتمام جمعها
هود والتجار المزابيين بسعر يتم تحديده من طرف الباي[39].

ر بعيد عن المحلات التجارية كانت تتوضع المقاهي منها مقهى أندلسي مقاعده
جارة تتوسطه نافورة بهرت الفرنسيين عند رؤيتهم لها، كما كان هناك مقهى آخر
باسم مقهى الحاكم، لكنه من الصعب تحديد أن كان ملكا لحاكم معين أو تابع
البايلك[40].

قيمت في المدية في العهد العثماني الفنادق وهي من الأبنية الاقتصادية الهامة في
لإسلامية، إذ كان الغرض منها إيواء أصحاب القوافل التجارية، ومن ذلك
الذي كان يسمى فندق سائس الباي والذي كان بالقرب من باب سيدي
وي[41]

لاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة اعتبر السور من المعايير
ة التي تميز المدن، واعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون
ائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، ومن هنا تعتبر من البناء
42]، ويبدأ تحصين المدينة باختيار الموضع وعلى حد قول ابن خلدون" ...أن
سع ذلك في متمنع من الأمكنة، أما على هضبة متوعرة من الجبل، أو باستدارة
هر بها..."[43] وهذا الشرط توفرت عليه المنطقة حيث توضعت المدية على
عة أما السور فهو في المدية يحيط بها كليا، وتعلوه فتحات للمراقبة وإفشال
لعدو، وكان يحتوي على أربعة أبواب لا يزال باب واحد منها قائما، وهو
ربي المعروف بباب الأقواس وبناءا على ما يذكره أحد الفرنسيين بني بخليط
والكلس والاسمنت شديد الصلابة وممزوج بالحصى الصغيرة[44]

2- العمارة الدينية:

إن العمارة الدينية هي أصدق تعبير على مدى حرص المسلمين على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي، والذي تعتبر الصلاة إحدى أهم أركانه، فما كان عليهم إلا أن اهتموا بها اهتماما خاصا، ويتجلى ذلك في عمارة المساجد، كما اهتموا ببناء الأضرحة بالرغم من أنها دخيلة على الإسلام ولم يكن لها وجود في أيام الفتح الإسلامي الأولى، لكنها سرعان ما حظيت باهتمام بالغ، وهنا سنتطرق إلى نموذج من هذه الأبنية وهو ضريح سيدي الصحراوي، إضافة إلى ذلك سنتناول العمارة المسجدية أو بالأحرى عنصر من عناصرها ألا وهي مئذنة الجامع الأحمر باعتبارها كل ما تبقى من المسجد .

أ ضريح سيدي الصحراوي: يقع المبنى خارج المدينة القديمة للمدية في الجهة الغربية، يحده من الناحية الشمالية طريق عام، في حين تحده من الجهات الثلاث الباقية مجموعة من الوحدات السكنية الحديثة العامة.

يعتبر المبنى واحد من المباني العثمانية التي لا تزال معالمها قائمة ليومنا هذا، ويبقى تاريخ بناءه مجهولا لعدم وجود أي وثيقة تحدد سنة البناء باستثناء الروايات التي تنسبه للفترة العثمانية، كما أن أسلوب بناءه الذي جاء على نمط الأضرحة العثمانية يوحي بذلك، وقد عرف المبنى مؤخرا ترميما كليا.

يتخذ المبنى شكل كتلة شبه مربعة، وهو صغير الحجم يحيط به جدار خارجي بني في فترة لاحقة لحمايته، يتم الوصول إلى المبنى بواسطة باب رئيسي فتح في الجدار المذكور، وهو يؤدي مباشرة إلى فناء يحتوي في زاويته الشرقية على غرفة كانت تستخدم كمخزن وهي الآن ملك للشخص القائم بالضريح، أما في الجهة الشمالية المحاذية للسور فتوجد مراحيض بنيت حديثا، مغطاة بقرميد حديث، أما المبنى فهو يتكون من غرفة صغيرة وغرفة الدفن.

و ضريح سيدي الصحراوي من الخارج ككتلة صغيرة مبيضة بالجير، وبسيط في
ه، وتظهر به من الخارج أربعة نوافذ، والواجهة الرئيسية به هي الواجهة الشمالية
جد بها المدخل وهي تشرف على الفناء

الوصول إلى مبنى الضريح بعد الدخول من الفناء عن طريق مدخل صغير
إلى غرفة صغيرة سابقة لقاعة الدفن، مغطاة بسقف خشبي من الداخل، وهي
كل مستطيل مقاساتها(5.9م ×2.2م) وهي تعتبر ممرا وسطيا يفصل بين قاعة
ح وخارج المبنى.

قاعة الدفن فهي تشغل مساحة مربعة يبلغ طول الضلع الواحد فيها 5 أمتار،
قبة محمولة على أربعة عقود ركنية، ويتم الوصول إلى القاعة بواسطة مدخل
(1.55م ×0.9م) به باب خشبي، وهي مضاءة بأربعة نوافذ وهي نفسها التي
ن الخارج، إضافة إلى ثلاثة خزائن جدارية، اثنتان على جانبي المحراب والثالثة
انب الأيمن من مدخل القاعة ومقاساتها (1.05م ×0.72م). في حين يتوسط
الولي الصالح سيدي الصحراوي قاعة الضريح، وهو خشبي مقاساته (2م
)، وهو مغطى بكسوة خضراء

مئذنة الجامع الأحمر: تقع المئذنة في القسم الجنوبي الشرقي من المدينة القديمة،
قصر الباي، وهي توجد حاليا في الساحة المعروفة بساحة بولوغين تم بناء
لأحمر ومئذنته في سنة 1213هـ بناءا على وجود نقيشة من الرخام وضعت
مل كتابة تذكارية جاء فيها:

هم تقبل من عبيدك حسن باي بن خليل ما مننت به عليه

بناء هذا المسجد واجعل عدة له مابين يديه

م الله عبدا قال آمين كلما رفع نظره إليه

- 1213 من هجرة المصطفى صل اللهم وسلم عليه.

تتخذ المئذنة شكلا مضلعا، ويعلوها جوسق قلمي الشكل

هذا وجاءت المئذنة المدروسة على شكل المآذن العثمانية ببدن مضلع، وبها مدخل صغير عرضه 65سم وارتفاعه 1.45م يؤدي إلى سلم حلزوني عدد الدرجات فيه46 درجة ارتفاع القائمة فيه حوالي 35سم، أما عرضها فهو 75سم، في حين يقدر طول النائمة ب75سم وعرضها يختلف من درجة لأخرى وتفتح في جدار المئذنة ثلاث فتحات صغيرة لإنارة السلم.

وتتكون هذه المئذنة كغيرها من المآذن من بدن طوله10م تعلوه شرفة مضلعة هي الأخرى، وهي المكان الذي يرفع منه الآذان، وهي محيطة بالبدن، وتنتهي المئذنة بالجوسق الذي يبلغ ارتفاعه 1.60م وهو على شكل اسطواني، في حين جاء الجزء الذي يليه على شكل مخروطي تعلوه التفاحات الثلاث، وتم بناء هذه المئذنة من الآجر.

وتظهر لنا عموما خالية من أي عناصر زخرفية، كما أحيطت المئذنة بعد إعادة ترميمها بجدار خارجي بني من الحجارة المرصوصة.

3- العمارة المدنية:

حرص المسلمون على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي في مختلف مجالات الحياة ومن ذلك العمارة المدنية المتمثلة في المسكن على وجه الخصوص، حيث شيدت المساكن العربية بما يلائم الحياة العربية والطبيعية والبيئية والعادات والتقاليد الإسلامية، ففي بداية الإسلام كانت بسيطة المظهر الخارجي، وخالية من الزخرفة، ومبنية من اللبن فكانت تعطي إحساسا عميقا بسياسة التقشف التي كان يتبعها الخلفاء الراشدون، تطور بناؤها وظهرت أساليب جديدة في العمارة والبناء، وعلى الرغم من تطورها بقيت محافظة على التقاليد والنظم والعادات العربية، وأهمها حجب المرأة المسلمة، وهذا ما نلاحظه على المبنيين المدروسين.

ر الباي: تقع في وسط المدينة على موقع استراتيجي هام، يحدها من الشمال ، دكاكين ومساكن، ومن الشرق المسجد المالكي، ومن الجنوب الساحة العامة

د هذه الدار إلى الفترة العثمانية أيام كانت المدية عاصمة بايلك التيطري ولقد آخر باياتها مصطفى بومزراق، كما كان مقرا لإقامة الأمير عبد القادر عند لمدية.

ء تصميم دار الباي شبه مربع بحجم متوسط، وهي تتكون من طابقين أرضي يربط بينهما سلمان واحد أصلي والآخر أضيف في الفترة الاستعمارية، ويتوسط صحن مركزي مكشوف تتوسطه نافورة من الرخام، كما تحيط به أروقة مدعمة ثمانية الأضلاع وحلزونية وأسطوانية تطل على الوحدات السكنية التي تتوزع لطابقين

ي الدار على أربع واجهات، لكن الواجهة الأكثر زخرفة واعتناء هي الواجهة الموجودة في الجهة الشمالية، وهي تحتوي على مدخل رئيسي به باب خشبي إطار من الحجر الجيري، ويعلوه قوس نصف دائري تحمله دعامتان يعلوهما وتوجد أمام هذا المدخل حديقة تعود إلى عهد الأمير عبد القادر، ويطوف هذه الواجهة سور مبني من الحجارة الكبيرة من نفس الفترة، يتخلله باب بالإضافة إلى وجود سلاسل حديدية في هذا السور، يقال أنها استعملت لربط الأمير.

جانب ذلك نجد مدخلا آخر يؤدي إلى الصحن وهو حديث النشأة يتخلله سبي متكون من مصراعين، وفتح باب صغير بوسطه وهو خالي من الزخرفة.

لواجهة الجنوبية فيوجد بها مدخل كبير به باب خشبي يحتوي على مصراعين، على الواجهة فهناك نوافذ أجريت عليها تعديلات في العهد الفرنسي، في حين جهة الغربية يتخللها مدخل حديث والواجهة الشرقية تحتوي على نوافذ في لعلوي أضيفت في العهد الفرنسي.

هذا وتحتوي الدار على سقيفتين رئيسيتين، الأولى أمامية والثانية تتصل مباشرة بأروقة الصحن، ويتم الوصول إلى السقيفة الأولى من المدخل الأصلي، وهي عبارة عن حجرة صغيرة مستطيلة الشكل مقاساتها (4.13م ×2.86م) خالية من المقاعد الجدارية، أما السقيفة الثانية فهي مربعة الشكل مقاساتها (3.7م × 3.93م) وتفتح هذه السقيفة على أروقة الصحن السفلية بباب خشبي حديث ذو مصراع واحد، كذلك نجدها خالية من الفتحات، بالإضافة إلى خلوها هي الأخرى من المقاعد الجدارية ويعود ذلك لكونها متصلة مباشرة مع الصحن، وجاءت السقيفة الثانية كحاجز منكسر للسقيفة الأولى.

الصحن في دار الباي مستطيل الشكل مقاساته(10.5م× 8.5م)، وتتوزع على أروقته أعمدة حلزونية وأخرى ذات خطوط منكسرة في الطابق السفلي ونصف حلزونية وثمانية الأضلاع في الطابق العلوي، أما أركان المبنى فيها دعامات مستطيلة الشكل، في حين عقودها حذوية منكسرة، أما التيجان فهي كورنتية زخرفتها محورة عن الطبيعة.

يتوسط الصحن نافورة داخل حوض مرمري مثمن الأضلاع، وهي تحمل على ثلاثة أعمدة حديدية صغيرة لتدعيم الثقل، وفي أعلاها نجد شكل زخرفي نباتي، وكما هو معلوم تتكون الدار من طابقين، وفي كل طابق أربعة أروقة، وهي بمثابة الحلقة الفاصلة بين الوحدات السكنية، عرض الرواق الواحد فيها1.90م، أما ارتفاعها فهو3.15م، كما تحتوي على مجموعة من الغرف في كلا الطابقين، أما فيما يخص حمام دار الباي فيقع في الركن الشمالي الشرقي من الطابق الأعلى مباشرة فوق المطبخ، وهو مركب من الغرف الثلاثة، إلا أن الغرفة الباردة قد هدمت كما سبق ذكره ووضع مكانها سلم، ولم تبق منه إلا الغرفتين الاخرتين.

دار السليماني: تقع هذه الدار في الحي القديم لمدينة المدية المعروف بحي في شارع الأخوة مغراوي الذي يحدها من الناحية الشرقية، في حين يحدها من ي الثلاثة الباقية الغربية، الشمالية والجنوبية مجموعة من الوحدات السكنية يرجع تاريخها إلى الفترة العثمانية وذلك استنادا إلى نمط بناءها الذي جاء على العثماني جاء عبارة عن مبنى بسيط في مظهره الخارجي شأنه في ذلك شأن الإسلامية عموما، فيظهر ككتلة معمارية مربعة واجهتيها الشرقية والغربية ين للعيان إلا أنه طرأ عليه عدة تغـييرات خلال الحقبة الاستعمارية، حيث أن الشرقية هي الرئيسية وبها يتوضع المدخل الرئيسي للمبنى، وهي تحتوي على الطابق الأرضي وثلاثة نوافذ في الطابق العلوي، أما الواجهات الباقية فهي للمنازل المجاورة.

مدخل الدار في الواجهة الشرقية للمبنى تقدر مقاساته بـ(2.10م × 1.35م)، طر بإطار عليه باب حديث الصنع متكون من مصراع واحد يؤدي إلى السقيفة ت شكل مستطيل مقاساتها تقدر بـ(3.50م ×1.65م)، ومنها يتم الوصول إلى الذي جاء على شكل شبه مربع مقاساته (4.73م × 5.30م) وهو يتوسط الدار عليه مجموعة من العقود المرتكزة على أعمدة بسيطة متوجة بتيجان هي بسيطة من جهاتها الأربعة في كل من الطابقين الأرضي والعلوي.

ن هذه الدار من أربعة أروقة عرض الرواق الواحد فيها يقدر ب 1.50م الصحن من جهاته الأربعة ببائكة تتكون من ثلاثة عقود محمولة على مجموعة دة موزعة على مسافات متساوية، بالإضافة إلى ذلك تتكون من ثلاثة غرف ابق تتوزع على الصحن بالإضافة إلى الحمام الذي يتوضع في الطابق العلوي غرفة الغربية ويتم الوصول إليه مباشرة بعد صعود السلالم ويتكون من صغيرتين هما في حالة جد متقدمة من التدهور.

خاتمة

ظهر لنا جليا أن مدينة المدية لعبت دورا كبيرا في العهد العثماني الذي يعتبر فترة استقرار ثقافي، حيث ارتفعت فيها نسبة المتعلمين، كما عرفت تشييد العديد من المباني على اختلاف أنواعها سواء كانت دينية أم مدنية، أو عسكرية، وإن لم يسجل المؤرخون تاريخ هذه المدينة وإسهاماتها الحضارية فان المعالم التاريخية والمخلفات الأثرية هي خير دليل على أن جذورها تضرب في عمق التاريخ.

الهوامش:

(1) G' yver; " Media", in Encyclopédie de l'Islam, E.J. Brill , leiden. New York, G P.maison neuve, 1986, TV, p1006

(2) هـ.ف مالستان، أضواء على مدينة المدية، ترجمة أبو العيد دودو، مجلة الثقافة، العدد السابع 1972، ص41.

(3) أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشره البارون دوسلان، الجزائر،1937 ص .

(4) Gsell s ; Atlas Archéologique de l'Algérie, T02, Médéa, , Alger, 1997, p4.48.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999، ص 192.

(6) محمد مختار اسكندر، المدية بين القديم والحديث، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1986، ص19.

(7) أحمد السليماني، مدينة المدية ونواحيها في العهد القديم، مجلة الدراسات التاريخية، العدد التاسع، التاريخ، الجزائر 1995، ص136.

(8) أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، المجلد السابع، الكتب العلمية، الطبعة الثالثة بيروت لبنان 1998، ص330.

(9) عبد الرحمن ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999، ص317.

(10) أبو عبد الله محمد ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان،ليفي بروفنسال الجزء الأول الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص228 .

(11) على بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1999، ص251.

جيلالي عبد الرحمن، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، دار الأمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 200، ص323.

لك التيطري: اخذ تسميته من اسم بحيرة تقع في أراضيه. انظر:

Charles François, Dubois Thanville; Mémoires sur Alger, pub par G. champion, paris, 1927, p126.

الحميد بن اشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر، ص125.

(15) Federmann (h) et Au capitaine; "Notice sur l'histoire et l'administration du be titri" in revue africaine, n°9, 1865, p280

(16) Ibid; p.p 283.

(17) Federmann ; Op.cit; n°11, 1867, pp279-302.

ر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، زائر، 1984، ص20.

الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ت، 1990 ص243.

لالي الرحمن، تاريخ المدن الثلاث..، المرجع السابق، ص333.

لأمير عبد القادر في يوم 06سبتمبر1808م، أبوه محي الدين، وأمه الزهراء بنت عبد القادر بن دوحة يني ويرجع نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح الطبعة الثانية، دار اليقظة، بيروت، 1964، ص54.

بن عبد القادر الجزائري، نفسه، ص159.

مصطفى بن التوهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم يحي بوعزيز، دار الغرب م، 1995، ص107.

يرنت يوهان، الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ، دار هومة، الطبعة الثانية ،الجزائر، ص75.

إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، ص21.

ني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الإبداع الشعري، ص216،217.

عزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر

1996، ص38-39.

(28) قداش محفوظ، الأميرَ عبد القادر، فن وثقافة، وزارة الإعلام، الجزائر، 1982، ص33.

(29) سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص159.

(30) بن علال احد القادة البارزين والمخلصين للأمير، وقد كان خليفته على مليانة، وهو الذي بنى قلعة تازة.

(31) العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974ص199-203.

(32) Leynadier et Clausel; Histoire de l'Algérie Française, imp. A.Henry, Paris, 1846, p98-100.

(33) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999 ص234.

(34) Federmann et Aucapitainn; Op.cit, in R.Af, n09, 1865, p289.

(35) Ibid, p289

(36) Rozet M , ; Voyage dans la régence d'Alger ou Description du pays par l'armée française en Afrique , T1, paris, Arthus Bertrand, 1833, pp224-22

(37) Ibid, p225.

(38) Berteuil Arsène ; L'Algérie française, histoire, mœurs , coutumes, industrie et agriculture,T 1, Dentu, Paris, 1856, p236

(39) Federmann ; Op.cit, In R.A, n° 11, 1867, pp213-214

(40) Ibid, p289

(41) Ibid, in R.Af, n09, 185, p289.

(42) محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص135.

(43) عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006، ص323.

(44) Rozet M ;Op.cit, p230-232.

(45) محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية خصوصيتها، ابتكاراتها، جماليتها، دار السيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1998، ص59.